اللغة الفصحى وتعليم الشعب

ألقى معالي الدكتور طه حسين رئيس اللجنة الثقافية في جامعة الدول العربية ، في الساعة السادسة والنصف من بعد ظهر الثلاثاء ٢ / ١٠ / ١٩٥٦ في مدرج الجامعة السورية ، المحاضرة التالية في (اللغة الفصحى وتعليم الشعب) :

سيداتي سادتي

أريد أن أتحدث اليكم الليلة في موضوع عسى أن يكون ثقيلاً ، وأعتذر اليكم من ثقله فالحق ثقيل دائماً ، لا يخفّ إلا على أولي العزم من الناس ، والعهد بكم أنكم من أولي العزم ، لأنكم من العرب الذين يؤثرون الجد على الهزل ، ويفضلون الصراحة على المداراة والمواربة ، وبيني وبين الذين سينكرون ما أقول ، كله أو بعضه ، ما قاله أبو العلاء :

خذي رأيي وحسبك ذاك مني على ما فيّ من عوج وأمت
وماذا يبتغي الجلساء مني أرادوا منطقي وأردت صمتي
ويوجد بيننا أمد قصي فأموا سمتهم وأممت سمتي

والموضوع ثقيل لأنه يتصل باللغة العربية الفصحى ، وبتعليم الشعب . فما أكثر ما نتحدث عن هذه اللغة العربية الفصحى ، وما أكثر ما نعلن اعتزازنا بها ، واعتدادنا بتراثها ، وحرصنا عليها وعلى تراثها العظيم ، ويقيننا انها هي أساس وحدتنا ، وهي العروة التي تجمع الشعوب العربية على اختلافها ، وتباعد أوطانها ، والعروة التي لا انفصام لها . نتحدث عن هذا فنكثر الحديث ، ونقول في هذا فنطيل القول ، ونملأ به أفواهنا ، وتطمئن إليه قلوبنا ، وتثور له نفوسنا . واذا نحن نفيض إيماناً وثقة وأملاً ويقيناً . فاذا فرغنا من هذا كله ، وُثبنا الى نفوسنا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أو ثابت نفوسنا الينا ، وهدأت عنا الحماسة ، اكتفينا بما قلنا ، وبما سمعنا ، وبما صفقنا ، وبما صحنا ، ثم لم نكد نصنع شيئاً .

ولست أنكر أن علماء اللغة في البلاد العربية على اختلافها ، يبذلون جهوداً عنيفة ، وينفقون من أوقاتهم ومن نشاطهم أكثر مما يطيقون ، لحماية اللغة وصيانتها ، وحراستها والمحافظة عليها من كل عبث أو كل شر ، يمكن أن يصيبها ، ولكن السؤال الخطير الذي ألقيه الآن ، وأريد أن يلقيه كل واحد من حضراتكم عن ثقة : لمن نحفظ هذه اللغة ، ولمن نصونها ، ولمن نريد أن نخلدها ؟ ولمن ننفق كل ما ننفق من جهد ووقت ومال في سبيل هذا كله ؟ أنفعل هذا كله لأنفسنا لنستأثر بالعلم ، وليقال اننا علماء ، حفاظ ، نتصرف في اللغة العربية بعد أن طوّعناها بقدرتنا ، ونستطيع أن نصرّفها كما نحب ونهوى ؟ أم نحن نفعل ذلك لتكون هذه اللغة ملكاً للشعوب العربية كلها ، لا لطبقة معينة منها هي طبقة العلماء الأئمة ، الحفّاظ ، ولكن لجميع طبقات الشعوب العربية ، الطبقات الممتازة أو الراقية ، والطبقات الوسطى ، والطبقات الفقيرة ؟

وهذا السؤال هو الذي أريد أن أدير الحديث حوله هذه الليلة .

أما ان فينا علماء ، فهذا ليس فيه شك . ويكفي أن أكون في دمشق ، وأن ألقى الأعلام من أعضاء المجمع العلمي في دمشق ، وأن ألقي هذه الطائفة الممتازة من المثقفين الشاميين لأقتنع بأن اللغة العربية حية قوية ، وان لها حفّاظاً ، وان لها أنصاراً يذودون عنها ويحمونها ، يذودون عنها الشر والعبث والفساد . وما أشك أن في البلاد العربية الأخرى شيئاً يشبه ما في الشام كثيراً أو قليلاً ، ولكن الشيء الذي لا شك فيه هو أن هذه اللغة العربية التي تبذل في سبيلها كل هذه الجهود ، وينفق في سبيلها كل هذا الوقت ، هذه اللغة لم تصل بعد الى الشعوب ، أو لا يكاد يصل منها الى الشعوب إلا أصداء لا تغني عنها شيئاً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وليس أدل على هذا من أننا اذا استقصينا أمر اللغة العربية في الأقطار العربية ، فسنرى أن أكثر الذين يقرأون ويكتبون لا يستطيعون أن يقيموا ألسنتهم بهذه اللغة الفصحى . وسنرى شراً من هذا ، سنرى كثيراً من الشباب في غير قطر من الأقطار العربية يفكّرون ويعلنون أن هذه اللغة أصبحت عاجزة عن أن تساير الحياة الحديثة ، ويفكرون ويعلنون أن هذه اللغة أصبحت عاجزة عن أن تعرب عن ذات النفوس في هذا العصر الحديث ، ويفكرون ويعلنون أن هذه اللغة أصبحت لا تصلح لتكون لغة الكتابة ، ولغة الأدب في بعض البيئات ، وما أكثر الذين أخذوا ينحرفون عن هذه اللغة الى اللغة العامية التي يتحدثها الناس في الشوارع ، وفي القرى ، وفي أعماق الريف ، يكتبون بهذه اللغة ، يرون الكتابة بها أيسر من الكتابة بهذه اللغة العربية الفصحى ، ويرون هذه اللغة العامية أطوع لهم ، وأقدر على تصوير عواطفهم ، وأهوائهم وميولهم وما يجول في رؤوسهم من الخواطر والمعاني من اللغة العربية الفصحى .

ويعللون ذلك بأسباب كثيرة أهمها انهم لا يستطيعون أن يتعلموا اللغة العربية لأنها عسيرة ، ولأنها عملة ، ولأن التلميذ إذا ذهب الى المدرسة واستمع إلى دروس الأستاذ في اللغة العربية ، في النحو أو في الصرف أو في البيان ، لم يستفد من أستاذه ولا من دروس أستاذه إلا شيئاً واحداً ، وهو النفور من الأستاذ والنفور من اللغة العربية ، والانصراف إلى أي شيء آخر يلهيه ويريحه من هذا العناء الثقيل . ولا تظنوا أنني أبالغ ، أو أتكثر ، فهذه حقيقة واقعة لا ينكرها ، إلا المكابرون . ولا تقولوا إن المدارس قد أخرجت طائفة من الكتّاب والأدباء الممتازين ، فهؤلاء هم الشذوذ الذي يثبت القاعدة ، أو الاستثناء الذي يحقق القاعدة كما يقال . ولكن التلاميذ في المدارس ، لا يبغضون شيئاً كما يبغضون دروس اللغة العربية ، وهم مع ذلك إذا استمعوا لمحاضرة عن اللغة العربية ومجدها القديم وتراثها الخالد العظيم ، ثاروا حماسة وامتلأوا نشاطاً ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وإيماناً وإعجاباً بهذه اللغة . ولكنهم حين تسقط عنهم الحماسة يعودون إلى تذكر الأستاذ وكلامه الثقيل .. الذي كان يلقيه عليهم ، أو يلقيه عليهم في المدرسة ، وهذه الأسئلة الشاقة التي كان يمتحنهم بها بين حين وحين .

والأمر أشد من هذا كله خطورة ، فنحن في هذا العصر الحديث الذي نعيش فيه قد آمنا بأن التعليم حق للشعب كله ، منذ السن المبكرة ، إلى أن يبلغ الفتى أو تبلغ الفتاة الرشد ، وإذن فنحن لا نبيح التعليم للقلة التي وقفت نفسها على أن تتعلم ، وأتاحت لها الحياةُ أن تفرغ للتعليم ، وأن تنفق فيه شيئاً من الجهد والوقت والمال ، وانما نفرض هذا التعليم على الأغنياء والفقراء ، وعلى الأقوياء والضعفاء ، وعلى القادرين والعاجزين . نفرض هذا التعليم على الشعب كله ، ونعاقب الذين يقصرون في أداء هذا الواجب ، وهو تعليم أنفسهم أولاً ، وتعليم أبنائهم وبناتهم بعد ذلك .

قوانيننا تعاقب الذين يقصرون في تعليم أبنائهم وبناتهم ، ومعنى هذا اننا نفرض التعليم على هذه الملايين الكثيرة التي تتألف منها الأجيال في هذه البلاد العربية . وإذا فرضنا التعليم على كل هذه الملايين فيجب أن نبتغي الى هذا التعليم وسائله الصحيحة التي تنتهي به الينا حقاً ، ويجب أن لا نكلف الكثرة الضخمة التي نعلمها الآن في مدارسنا ، يجب أن لا نكلف هذه الكثرة الضخمة من البنات والبنين ما نكلف به القلة التي يتاح لها الوقت ، والجهد ، والمال . وإذن فلا بد من أن يكون التعليم يسيراً ، ومن أن يكون قريباً ، ومن أن يكون سائغاً ، لا تجد فيه الكثرة مشقة ولا عنتاً ، ولا تحتاج فيه الى هذا العناء الثقيل الذي يفرض على أبنائنا فرضاً .

وأخرى ليست أقل من هذه خطورة ، وهي أننا نعيش الآن في القرن العشرين ، أي في العصر الذي تغير فيه التاريخ ، وتغيرت فيه الحضارة المادية تغيراً تاماً ، وتغيرت فيه الثقافة العقلية تغيراً يوشك أن يكون تاماً أيضاً ، وتغير فيه العقل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

نفسه بحكم ما طرأ على الحضارة والثقافة من تغيير ، وما زلنا نعلّم اللغة العربية في مدارسنا ومعاهدنا كما كان القدماء يعلّمونها في معاهدهم ومدارسهم منذ أكثر من ألف عام ، وقد تستطيع أن تطلب الى القلة القليلة جداً أن تحتمل هذا العناء ، وأن تتكلف هذا الجهد ، وأن تخرج من القرن العشرين لتعيش في القرن الثامن أو التاسع للميلاد ، لتتعلم النحو ، والصرف ، واللغة ، كما كان القدماء يتعلمونها . ولكنك لا تستطيع بحال من الأحوال أن تطلب الى هذه الملايين الكثيرة أن تبذل هذا الجهد ، وتحتمل هذا العناء ، وتخرج من حياتها التي تحياها بالمشقة ، والكد ، والعناء ، لتعود الى حياة أخرى لعلها لا تعرف من أمرها شيئاً . فعندما تريدون أن تعلموا هؤلاء الأطفال في المدرسة الابتدائية أو هؤلاء الشباب في المدارس الثانوية ، عندما تريدون أن تعلموهم النحو ، تعلمونهم النحو كما كان المبرد وأستاذه المازني وتلاميذهما المختلفون يعلمون في مساجد البصرة ، وكما كان الكسائي والفراء يعلمان في مساجد الكوفة ، أو في مساجد بغداد ، والفرق بعيد بين المدرسة الابتدائية التي ننشئها في أعماق القرى ، وبين مسجد البصرة ، أو مسجد الكوفة ، أو مسجد بغداد ، والفرق هائل جداً بين القرن العشرين ، وبين القرن الثامن أو التاسع حين كان يعيش هؤلاء العلماء .

كان القدماء يعيشون عيشة خاصة ، ويتأثرون من ناحية بالبداوة العربية الأولى ، ومن ناحية أخرى بالفلسفة اليونانية الطارئة ، ومن ناحية ثالثة بالحضارة الفارسية المادية التي أحاطت بهم وشملتهم شمولاً . أما نحن فقد صُرفنا عن البداوة العربية الأولى ، وأغرقتنا الحضارة الحديثة إلى آذاننا ، وقد أنسينا فلسفة أرسطاطاليس وغيره من قدماء اليونان ، وأصبحت هذه الفلسفة لا يعرفها إلا الأقلون من أمثال الصديق الدكتور منصور فهمي والدكتور جميل صليبا ، وأصبحت الحضارة الفارسية شيئاً يعني الفرس حين يدرسون تاريخهم ، أما حضارتنا الآن فهي الحضارة الحديثة . ونحن نعنى بحضارتنا القديمة لنستبقي منها ما يصلنا بالقديم حتى لا تفنى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

شخصيتنا ، وحتى لا نفقد عروبتنا ، وحتى يظل الاتصال قوياً بيننا وبين ماضينا المجيد . فاذا أردتم أن تعلموا النحو هؤلاء التلاميذ المساكين فكيف تريدونهم على أن يفهموا أن قولك « قرئ الكتاب » فعل مبني للمجهول ، والكتاب نائب عن الفاعل ، لأن الفاعل قد حذف لغرض من الأغراض التي تذكر في علم المعاني وعلم النحو ، وأنيب عنه المفعول به . كيف تريد التلميذ المصري أو الشامي أو العراقي الذي لم تتجاوز سنه الثانية عشرة أن يفهم هذا الكلام ؟ ما هذا الفاعل الذي حذف ؟ ما هذا المفعول الذي أُنيب عنه ؟ ما هذا المجهول الذي بُني له الفعل ؟ وعندما تريد أن تفهمه قول الله تعالى : « وإنْ أحد من المشركين استجارك ، فأجره حتى يسمع كلام الله ، ثم أبلغه مأمنه » قلت له : « إن أحد » في قوله « إن أحد من المشركين » فاعل لفعل محذوف تقديره استجارك ، وإن تقدير الآية « وإن استجارك أحد من المشركين استجارك » ، فيسألك التلميذ وأين توجد استجارك الأولى هذه ومن أين نأتي بها ؟ وما السبب في وجود هذا الفعل مرتين ؟ ولماذا لا نكتفي بهذا الفعل الذي اكتفى به القرآن الكريم ؟ فكيف تجيبون ؟ . أما أنا فقد سألت أحد الشيوخ عن إعراب هذه الآية ، فأعربها كما تسمعون ، فقلت له : يا سيدي أتزيد في كتاب الله ؟ ..

وعلة هذا أن النحاة القدماء قرروا في قواعدهم أن حرف (إنْ) لا يدخل إلا على فعل ، ولما جاء في القرآن وفي كلام العرب (إن) وبعدها اسم لم يخضعوا لما جاء في القرآن ولم يخضعوا لما جاء في كلام العرب نثراً وشعراً ، وإنما أرادوا أن يخضعوا القرآن للقاعدة التي قرروها ، وقد طوّعت لهم فلسفتهم هذا النحو من التصرف واستطاعوا أن يحتملوه ، واستطاعوا أن ينهضوا بأثقاله ، لأن عقولهم في تلك الأوقات ، في تلك السنين ، كانت عقولاً فلسفية متأثرة (بالميتافيزيك) أو بالميتافيزيقا كما يقولون ، التي تركها أرسطاطاليس ، وورثها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العرب ، فكانوا يستطيعون أن يفهموا مثل هذا الكلام ، ولكن شبابنا في هذه الأيام يعيش في عصر لا يكاد يحفل بالميتافيزيك وما بعد الطبيعة ، ويعيش في عصر لا يكاد يعرف أرسطاطاليس فيه إلا المختصون ، فاذا حدثتهم عن الفعل المحذوف الذي يفسره ما بعده ، وذكرت لهم هذا الفعل حاروا في أمره حيرة بعيدة . وإذا أردتم أن تعلموا التلميذ « فأما ثمود فهديناهم » فأفهموه أن ثمود ليست مفعولاً لهديناهم ، وإنما هي مفعول لفعل محذوف تقديره هدينا ، ثم قلتم : معنى الآية أو تقدير الآية « هدينا ثمود فهديناهم » لم يستطع التلميذ إلا أن يضحك أولاً ، ويسخر ثانياً ، وأن ينصرف عن الأستاذ ودرسه بعد ذلك ، والحمد لله على أنه لا ينصرف عن الإسلام ولا عن القرآن ، لأن الإسلام أقوى والقرآن أقوى من أن يؤثر فيهما مثل هذا العبث . أو اذا قلت للطالب نحن المصريين نفعل كذا ، أو نحن السوريين نفعل كذا ، وطلبت إليه أن يفسر هذا أو يعربه ، أفهمته أن هناك فعلاً محذوفاً تقديره أخص ، أي نحن أخص السوريين نفعل كذا . ما موقع أخص هذه ؟ لا معنى لها مطلقاً ، إلا أننا وجدنا هذه الكلمة منصوبة ووجدنا هذا التعبير يدل على التخصيص ، فقدرنا هذا الفعل ، وقدرنا هذا العقل ، ولنا أن نقدر ما نشاء ، ولكن التلاميذ لهم أيضاً عقول صغيرة ، ساذجة ، لا ينبغي أن نكلفها ما لا تطيق . واذا قلت للتلميذ « إياك والكسل » وطلبت اليه اعراب هذه الكلمة ، اخترعت له فعلاً مقدراً لا أدري ، ولا يدري هو أين يكون ومن أين جاء ، هو « احذرك » . ونظراً لأنك حذفت الفعل فقد اضطررت الى أن تستعمل الضمير المنفصل مكان الضمير المتصل ، فلم تقل « ك النار » ، وإنما قلت « إياك والنار » .

كل هذا كلام أنا شخصياً أحبه أشد الحب ، وأؤكد لكم أن النحو هو أحب علوم اللغة العربية إليّ ، وأؤكد لكم أنني أجد لذة لا تعدلها لذة حين أجلس الى الصديق ابراهيم مصطفى ونتذاكر باباً من أبواب النحو ، ونحاول إعراب آية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من آيات القرآن على قواعد النحويين ، أو إعراب بيت من أبيات الشعر على قواعد النحويين ، ولا أنسى أنني تذاكرت معه غير مرة في إعراب الآية الكريمة : « ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلتَ لا أجد ما أحملكم عليه ، تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزناً ان لا يجدوا ما ينفقون » . كيف يكون إعراب هذه الآية ؟ لأن هناك فعلين : « قلتَ » ، و « تولوا » ، و « اذا » محتاجة الى جواب .. أين يكون الجواب بين هذين الفعلين ، بين « قلت لا أجد » وبين « تولوا » ؟ ويكفي أن تنظروا الى اعراب القرآن لابن حيان لتروا ما يقال هناك ، ولكن كل هذا العمل ما يعمل به التلاميذ في المدارس صغارهم وكبارهم ؟

هذا فصل ، وفصل آخر ليس أهون منه . الأصل أن الناس يكتبون ليقرأوا ، ويقرأون ليفهموا ، ونحن نكتب لنقرأ ، ولكننا لا نقرأ لنفهم ، وإنما نفهم أولاً لنقرأ بعد ذلك . واذا كان هذا جائزاً بالقياس الى الممتازين النابهين النافذين ، فهذه الملايين ما الذي تطلبونه اليها ؟ كيف تطلبون من هذه الكثرة من الأطفال الصغار ، في هذه السن المبكرة ، ان يفهموا الكتب التي تعطى اليهم بالمدارس ليقرأوها كما ينبغي أن تقرأ ، ويجب عليهم أن يفهموها قبل أن يقرأوها ، أو أن يقرأوها خطأً فيلقون من أساتذتهم ومعلميهم سخطاً ، فلا بد إذن من أن نختار بين اثنتين : اما أن نريد المحافظة على اللغة العربية في مجامعنا العلمية على اختلافها فنذود عنها كل شر ، ونحميها من كل بأس ، ونحيي تراثها القديم ، ونجتهد في أن نضيف اليه كل جديد ممكن ، ينفع ولا يضر . أما أن نكون نفعل هذا كله لأنفسنا ولأشباهنا من المتخصصين ولا نحفل بالشعب ولا بتعليم الشعب ، وإذن فنحن لا نصنع أكثر مما يصنع المتخصصون في اللغة اليونانية القديمة ، وفي اللغة اللاتينية القديمة ، أي ما يصنعه المتخصصون في اللغات الميتة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أتريدون أن تكون اللغة العربية إحدى هذه اللغات الميتة التي يفرغ لها المتخصصون ولا يحسنها غيرهم ؟

هذه واحدة ، والثانية أن نكون إنما نفعل هذا كله لتكون اللغة العربية لغة حية حقاً ، كما تحيا اللغة الألمانية والإيطالية والفرنسية والانكليزية والاسبانية وغيرها من اللغات الحية التي يتكلمها الناس ويكتبون بها ، ويفهمونها حين يقرأونها ، أو يقرأونها ليفهموها ، فاذا قرأوها فهموها في غير مشقة ولا عسر ، واذا تعلموها فلا يجدون فيها جهداً ، ولا مشقة ولا عناء الا ما يجده التلميذ في حياته العادية حين يتعلم أي شيء من هذه الأشياء التي يتعلمها في صباه .

ولمَ أذهبُ بعيداً ؟ .. انظروا الى تلاميذنا في المدارس الثانوية . اننا نعلمهم اللغة العربية ، ونعلمهم لغة أجنبية أو لغتين أجنبيتين .. في أي اللغتين يتثقف هؤلاء التلاميذ ، وفي أي اللغتين يسرع هؤلاء التلاميذ الى النطق والفهم والحديث .. ؟ أتظنون أنهم يتثقفون باللغة العربية ..؟ أتظنون أنهم يسرعون الى التحدث بالعربية الفصحى ، ويسرعون الى قراءتها أو فهمها أم الواقع شيء آخر ؟ .. أما أنا فقد جربت كثيراً ، والذي أعرفه من التجربة أن تلاميذنا يتعلمون اللغة الانكليزية والفرنسية أسرع مما يتعلمون اللغة العربية ، لولا أن عواطفهم تفرض عليهم شيئاً من التحفظ وتفرض عليهم شيئاً من الجهد .

أؤكد لكم أيها السادة أن كل هذا الذي عرضته عليكم حتى الآن انما يصور خطراً محققاً أشرت اليه في افتتاح مؤتمر المجامع العلمية منذ يومين ، وأضيف اليه أن هناك كتاباً كباراً يُقرَأون في الشرق العربي كله ، ويطالب بعضهم الآن بالغاء الإعراب وإلغاء قواعد النحو .. أنا أطالب بتيسير قواعد النحو وتيسير الكتابة العربية لتشيع اللغة العربية ، وتصبح لغة الشعوب حقاً ولغة حية حقاً ، ولكن من الناس من كتبوا في هذه الأيام القريبة يطلبون إلغاء قواعد الاعراب وتسكين أواخر الكلام لا لشيء إلا لأنهم لم يتعلموا اللغة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العربية حين كانوا تلاميذ في المدارس ، لا لشيء إلا لأن النحو القديم والكتابة الموروثة والأساتذة الذين يعلمون النحو القديم والكتابة الموروثة ، كل أولئك عجزوا عن أن يُحَبِّبوا هذه اللغة الى الكاتب الكبير ، وبغضوا اليه العربية الفصحى ، وغرسوا في نفسه هذا البغض ، وأصبح الآن لا يكره شيئاً كما يكره التكلم بهذه اللغة ، ولا يتحرج أن يطالب بإلغاء قواعد الإعراب وتسكين آخر الكلمات ، وجعل اللغة العربية الفصحى كأي لهجة من اللهجات العامية .

أنتم كذلك بين اثنتين : إما أن تريدوا وحدة الشعوب العربية حقاً ، وتكونوا مؤمنين بهذه الوحدة ، حراصاً عليها مستعدين للجهاد في سبيلها بالحياة والنفوس ، والأموال والمنافع ، مهما تكن ، وإذن فلا بد من أن تجعلوا لغتكم العربية التي تكوّن وحدتكم لغة الشعوب لا لغة الخاصة . وإما أن يكون حديثكم عن الوحدة كلاماً لا أكثر ، وأعوذ بالله وأعيذكم من ذلك ، وإذن فدعوا اللغة العربية تموت ، ودعوا اللغات العامية تصبح لغة الكتابة ، وانتظروا بعد ذلك إذا أراد السوري أن يقرأ لكاتب مصري أن يضطر الى ترجمته إلى لهجته السورية ، وأن يضطر العراقي اذا أراد أن يقرأ لسوري أن يترجمه للهجته العراقية .

اختاروا فليس لكم بد من الاختيار . إن نحن مضينا فيما نحن عليه وأبينا أن نيسر قواعد النحو والكتابة وأن نتيح للشباب والصبية أن يقرأوا ليفهموا لا أن يفهموا ليقرأوا ، فعندئذ لا بد أن تنشأ عن هذه اللغة العربية الفصحى القديمة لغات مختلفة ، كما نشأت الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية عن اللغة اللاتينية القديمة .

ماتت اللاتينية وخلفها أبناؤها وبناتها ، فهل تريدون أن تموت اللغة العربية وأن تخلفها بناتها التي نشأت بالفعل في الأقطار العربية المختلفة ؟ .. هذه هي المسألة ، اختيار ، وأنا أعلم أنه ليس أشق على الإنسان من الاختيار . فنحن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

نحب القديم ولا نستطيع التفريط فيه إلا بعد مشقة وجهد وعناء ، وبعد أن تتمزق قلوبنا حسرة ، ولكن لا بد مما ليس منه بد .

وبعد فأنا لا أدعوكم إلى هجر القديم مطلقاً ، وعسى أن أكون من أشد الناس محافظة على قديمنا العربي ، ولا سيما في الأدب واللغة ، ولكن لِمَ لا يكون النحو القديم ، والكتابة القديمة ، والبلاغة القديمة ، وكل هذه العلوم العربية التي أُنشئت في عصر غير هذا العصر الذي نعيش فيه .. لِمَ لا يكون هذا كله متطوراً كما تطورت اللغة ، نحفظ قديمه لدرس المتخصصين في الجامعات ، وفي المعاهد ، ونتيح للملايين البائسة من الصبية والشباب أن يتعلموا تعلماً قريباً سهلاً ، عسى أن يتخرج من بينهم من يضيف إلى ثروة هذا القديم ، ويحسنه أكثر مما نحسنه نحن ، ويحيي هذا التراث القديم أكثر مما نحييه نحن .

أنا أعرف أن هذا كله لا يرضي كثيراً من الناس ، لا في دمشق وحدها بل في مصر وغيرها من البلاد العربية ، ولكني لا أحب أن أكذب العرب ، وقد قيل إن الرائد لا يكذب قومه ، ولا أحب أن أكون كهؤلاء الذين يقولون إن أمة محمد بخير ، ولا أريد أن أكون كهؤلاء الذين يطمئنون في المكان القلق ، إنما أحب وأحب للمواطنين من العرب أن يكونوا أيقاظاً لا نياماً وأن لا يؤخذوا على غرة ، وأن لا ينظروا ذات يوم فاذا هم يدرسون ويجتهدون ويجدون ويكدون لأنفسهم لا للشعوب . لا بد إذن من أن ننظر في هذا كله ، وأن ننظر فيه نظرة الشجعان الذين يواجهون الحقائق ولا يستخفون منها ، ونظرة الناصحين الذين لا يريدون أن يستأثروا بالعلم دون العامة ودون الشعب ، وحسب الدنيا شقاء أن يكون فيها المستأثرون بالمال ، والمستأثرون بالحياة المادية ، وشر الاستئثار هو الاستئثار بما خلقه الله ليكون شائعاً بين الناس جميعاً وهو العلم والمعرفة والثقافة . لا ينبغي لعلماء اللغة العربية أن يؤثروا أنفسهم بالعلم العربي ، بل يجب عليهم أن يُشيعوه ، ولا ينبغي عليهم أن يظنوا أنهم حين ينشرون كتاباً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من كتب القدماء يشيعونه حقاً . فالكتاب لا يشاع إلا بين الذين يستطيعون أن يقرأوه ، ويفهموه ، ويتصرفوا به . سلوا أنفسكم كم عربياً قرأ هذا الكتاب أو ذاك من كتب الجاحظ ؟ سلوا أنفسكم كم عربياً قرأ كتاب البخلاء .. أو كتاب التربيع والتدوير ؟ وما شئتم من الكتب القديمة التي نقرأها فنجد فيها المتعة ، والتي يقرأها بعض المستشرقين فيجدون فيها المتعة .. سلوا أنفسكم كم عربياً قرأ هذه الكتب ، قرأها العلماء وأشباه العلماء وطلاب العلوم العالية ، فأما ملايين العرب فلا يعرفون عنها شيئاً . وأعرف قوماً إذا ذُكرت لهم هذه الأشياء هزوا رؤوسهم ورفعوا أكتافهم ، واستهزأوا من ذاكريها ..

ليس من شك في أني حين أتحدث في هذا كله ، أتحدث الى فريقين من الناس ، أتحدث قبل كل شيء الى العلماء الذين يستطيعون الخير ولكنهم لا يقدمون عليه ، ثم أتحدث الى الشباب المتعلمين الذين من حقهم أن يطالبوا العلماء أن ييسروا لهم لغتهم ، وبأن لا يباعدوا بينهم وبين عروبتهم . ولا أشك ولا يجد الشك الى نفسي سبيلاً بأن الحكومات العربية إذا قال لها العلماء : هذا هو النحو الجديد الميسر ، الذي يلائم عقول الشباب في هذا العصر ، ولا يمس جوهر اللغة العربية من قريب ولا من بعيد ، ولا يغير من طبيعة اللغة العربية شيئاً ، ولكنه يتيح للشباب أن يتعلموا اللغة وأن يتقنوها ، وأن يتكلموها وأن يقرأوها وأن يفهموها ، لا أشك مطلقاً بأن الحكومات عندما يقدم اليها العلماء هذه الكتابة اليسيرة ، التي تتيح للشباب أن يقرأوا قراءة صحيحة ، ويفهموا فهماً صحيحاً ، ويجعلوا اللغة جزءاً من قلوبهم ، ويجعلوها جزءاً من حياتهم اليومية ، لا لغة متكلفة يتكلفونها ـ إن استطاعوا أن يتكلفوها ـ في أوقات الحاجة ... إذا قدم العلماء هذا كله الى الحكومات العربية فأنا مطمئن كل الاطمئنان الى أن جميع الحكومات العربية لن تتردد في إقرار هذا النحو ، وفي إقرار هذه الكتابة ، وفي إشاعة هذا النحو في المدارس ، وفي إشاعة هذه الكتابة أيضاً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولقد رأيت مرة كتاباً من كتب المطالعة في المدارس الابتدائية عندنا في مصر ، طغت عليه (البداغوجية) فويل لنا من (البداغوجية) . . طغت عليه (البداغوجية) فزعمت أن اللغة العامية قد تكون أيسر لإفهام الصبية ، فأدخلت بعض الجمل وبعض الألفاظ العامية في هذا الكتاب . فلما تحدثتُ في ذلك الى وزير التربية والتعليم لم يتردد في أن يعدني بالنظر في تلك الثورة . فقدِّموا أيها السادة العلماء ، والحديث هنا موجه الى مجامعنا الثلاثة التي تأتمر الآن في هذه العاصمة العربية الخالصة ، قدموا أيها السادة العلماء الى الحكومات كتابات ميسرة ونحواً ميسراً ، وقربوا لغتكم من الشعوب ، وثقوا بأنكم ان فعلتم فستبلون بلاء خيراً من البلاء العظيم الخطير ، الذي أبلاه نحاة البصرة والكوفة وبغداد في العهد القديم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net